الظلال الثلاثه

كريم عربي شاهيناز

نسمات الأدب

الظلال الثلاثة
كريم عربي شاهيناز

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : الظلال الثلاثة

المؤلف: كريم عربي شاهيناز

غلاف الكتاب: سلمى سامي

موك اب الكتاب: ملك البقري

تنسيق داخلي: سها منصور

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إهداء

إلـــى كـــل مـــن علّمنـــي أن الكســـور ليســـت ضعفًا، بل بداية لقوة جديدة.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

مدخل

بين الانتقام والحقيقة خيط رفيع من الألم، هناك من يختار الثأر، وهناك من ينكفئ على جراحه باحثًا عن العدل، في قلب هذه الفواصل تتشكل حكايتنا، لا عن الأبطال ولا عن الأشرار بل عن الظلال، عن أولئك العالقين بين النور والعتمة، من كسرهم الماضي وتركهم يتخبطون في حاضر مشوّه، فهل يختارون الضوء أم يغرقون أكثر في العتمة؟

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

"ليتني لم أخرج"

لم تكن لينا تنوي أن تخرج تلك الليلة من المستشفى، لكن شيئًا ما في صدرها كان يضيق وكأن هواء المشفى صار خانقًا، فقررت أن تلتقط أنفاسها خارجًا، لا تدري أن تلك الخطوة الصغيرة ستقلب عالمها كله.

بينما كانت تتمشى قرب مدخل الطوارئ الخلفي، لمحت جسدًا مرميًا بجانب الجدار يبدو كأن أحدهم تخلى عنه، اقتربت بسرعة، قلبها ينبض:

-"يا الله!"

كان رجلًا مصابًا بكسور في الضلوع، وجروح في الكتف والجبين، وعروق يده تشي بآثار سمّ قاتل، لم يكن مشردًا، ملامحه لا توحي بذلك، لكن هناك شيء

ثقيل في حضوره، شيء مألوف بشكل مزعج.

طلبت مساعدة سريعة وأُدخل إلى قسم الطوارئ، وهناك بدأت تتابع حالته بنفسها، كانت تجهل من هو لكنه لم يكن كأي مريض.

في اليوم التالي وبينما كانت تراجع ملفه اكتشفت شيئًا مريبًا: لا وثائق، لا بطاقة هوية، لا سجل صحي، وكل ما قاله للمساعد الليلي قبل أن يفقد وعيه كان:

-"أنا ميت، انسَ أنني كنت هنا."

حين سألته لاحقًا عن اسمه ابتسم بسخرية:

-"سجلي ما تريدين، ما دمتِ ستنقذيني."

ترددت لكن قلبها سبق عقلها، ولأسباب لا تفهمها قامت بتسجيله باسم مستعار

(كريم ريان)، وأدخلته كـ "مجهول الهوية-حالة طارئة"، مرت أيام وهو في العناية. جسده بدأ يتعافى، لكن عينيه؟

كانتا تخفيان شيئًا أعمق من الألم، تخفيان ظلالًا لم تُروَ بعد.

وفي صباح اليوم السادس استيقظ تمامًا، نظرت إليه وقالت بابتسامة متوترة:

-"مرحبا يا... كريم؟"

ضحك بهدوء وقال: "هذا ليس اسمي، لكن شكرًا لأنك جعلتني حيًا من جديد، لينا."

تجمّدت.

-"كيف تعرف اسمي؟"

حدّق فيها طويلًا ثم قال:

-"قصتنا بدأت قبل أن نلتقِ لكنك نسيتِ وأنا عدت لأذكّرك."

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني

"أشباح الطفولة"

منذ اليوم السابع بدأت ملامح أياد تتغيّر شيئًا فشيئًا، لم يكن التغيّر جسديًا فحسب بل كانت هناك زلزلة خفية في داخله، بدا وكأن ذاكرته قد بدأت تستيقظ لا بل تتمرّد عليه وتبعث أشباحها من رماد النسيان.

في الليالي كان يتقلّب على سريره المضمد، يئن ويتصبّب عرقًا وكأن نارًا خفية تشتعل في صدره، ذات ليلة استيقظت لينا على صرخاته، ركضت إلى غرفته فوجدته يجلس مذعورًا يلتقط أنفاسه بصعوبة، قالت له بهدوء وهي تضع كفها على كتفه المرتجف:

-"اطمئن، أنت في مأمن الآن."

ردّ بنبرة مبحوحة: "ما من أمان، الأمان كلمة لا وجود لها في عالمي."

جلست على الكرسي قربه، وأمعنت النظر في وجهه المجهد، ثم قالت:

-"احكِ لي، ربما إذا تكلمت تستعيد نفسك شيئًا فشيئًا."

تردّد، طأطأ رأسه ثم رفعه بصعوبة وقال:

-"طفولتي؟ إنها فصل من الجحيم، لا يُقرأ مرتين لكنكِ طلبتِ، فإليكِ ما لم أروِه لأحد من قبل، كانت أمي كل عالمي لا أذكر في صغري حضنًا سواها، ماتت وأنا في العاشرة من عمري، لم تمت بسبب المرض بل ماتت من القهر والتعب، كان زوجها يعاملها كخادمة، يضربها ويهينها، وكنت أشهد ذلك بعيني

الصغيرة التي لم تفهم آنذاك لماذا تُهان الأمهات، بعد وفاتها طردني زوجها من البيت، قال بوضوح: لا مكان لك هنا اخرج، ونام قلبي تلك الليلة في حظيرة الحيوانات تحت رائحة الروث على كومة قش بارد، بكيت حتى تورّمت عيناي، لم يكن البرد يقتلني فقط بل الشعور بالنبذ، ثم أخذوني إلى دار للأيتام، كان يُفترض أن يكون مأوى لكنه كان سجناً بغطاء رسمي، القائمون عليه لم يكونوا يرحمون، الضرب كان لغة التأديب، والإهانة كانت الهواء الذي نتنفسه، حين كبرت قليلاً أرسلوني إلى بيت امرأة مسنّة تُدعى الحاجة رتيبة، لم تكن شريرة لكنها كانت صامتة، باردة

كالجدران، كنت أخدمها مقابل طبق طعام ومأوى بسيط، تنظفُ، تكنس، تطهو أحيانًا، ولا تسمع سوى أمرٍ أو نداءٍ دون اسمي."

توقّف أياد لبرهة ثم أكمل بنبرة أهدأ:

-"ذات يوم أثناء ذهابي إلى السوق لشراء بعض الحاجيات، تعرّفت على بائعة حليب مسنّة، كانت أول من ابتسم لي بعد أعوام من الجفاف، كانت تُعطيني رغيفًا صغيرًا أو ثمرة وتقول: عينك حزينة يا بني، كنت أذهب إليها يوميًا، لا من أجل الطعام بل لأن ابتسامتها كانت تصالحني مع الحياة، لكنّ زوجها اكتشف الأمر، في أحد الأيام أمسك بي في السوق صرخ عليّ أمام الجميع واتهمني

بالسرقة، ضربني بعصا، وسقطتُ أرضًا، والناس تفرّجوا في صمت، أما هي فبكت لكنها لم تتكلّم."

خفض أياد رأسه، وقال بصوت خافت:

-"لم أكن سيئًا، كل ما في الأمر أنني كنت غير مرئي، وأسوأ ما يمكن أن يعيشه الإنسان، أن يشعر بأنه غير موجود لا أحد يراه، ولا أحد ينتظر نهوضه."

نظرت إليه لينا طويلاً ثم قالت بنبرة صافية:

-"لكنني أراك الآن، وأراك بوضوح."

رفع بصره إليها بعينين فيهما اندهاش حذر وقال:

-"لماذا تساعدينني؟ لم نكن نعرف بعضنا."

ابتسمت برقة وقالت: "لأنك ذات يوم كنت الوحيد الذي صدّقني حين اتُّهمت

ظلمًا في المستشفى، حين أُغلق الباب في وجهي، كنت أنت المحقق الوحيد الذي دافع عني، الذي فتح ملف قضيتي ورفض دفنه، قلتَ حينها: هذه الفتاة لا تكذب، واليوم جاء دوري لأردّ الجميل."

سكت أياد ونظر إلى السقف طويلًا، ربما للمرة الأولى منذ أعوام لم يشعر بالخوف من الغد.

★★★

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث

"حجر النرد"

كان الصباح رمادياً حين بدأ أياد يسرد على لينا ما حدث بعد اختفائه الأخير، جلس على السرير متكئاً إلى الجدار، بينما كانت هي تدون ملاحظاتها بهدوء، لا تقاطعه، وكأنها تقرأ رواية مكتوبة على لسان جسده المتعب.

قال أياد وعيناه شاردتان في الماضي:

-"كنت أحقق في قضية مقتل والدي، الكل قال إنها كانت مجرد عملية سرقة فاشلة لكنني لم أصدق تلك الرواية يوماً، شيء ما داخلي كان يهمس لي أن الجريمة أعمق من ذلك، أذكى، وأبشع."

تنهد بعمق ثم تابع:

-"ذات مساء كنت أراقب أحد المشتبه بهم، رجلاً غريب الأطوار يُلقب بين

الحي بـ (الشيخ عمران)، كانت له علاقة غامضة بأبي وكانا يجتمعان سرًا في المقهى القديم عند الزاوية الغربية من السوق، تبعته وهناك رأيت أول خيط، رأيته يسلم شيئاً صغيراً لرجل آخر ثم يختفي، اقتربت بخطوات حذرة فإذا هو حجر نرد، نفس الحجر الذي وجدته بجوار جثة والدي يوم قُتل."

ارتعشت لينا وسألته: "حجر نرد؟ مجرد لعبة؟"

هزّ رأسه: "هذا ما ظننته في البداية، لكنه لم يكن حجراً عادياً، وجه واحد فقط كان يحمل رقماً، الرقم (6)، بينما بقية الوجوه كانت سوداء قاتمة وكأنها تمتص النور."

ثم صمت أياد برهة كأنه يعيد ترتيب الصور في رأسه.

-"بعدها بأيام بينما كنت أفتش في ملفات قديمة في مركز الشرطة وجدت بلاغاً عن وفاة سيدة مسنّة، اختنقت بالحليب، نعم، كانت هي بائعة الحليب التي كانت تعطف عليّ حين كنت يتيماً، شيء ما جعلني أذهب لرؤية الجثة، وهناك كان حجر نرد آخر موضوعاً في يدها."

سألته لينا متوترة: "هل الشرطة ربطت بين الجرائم؟"

-"أبداً، كل واحدة بدت وكأنها حادثة منفصلة، ولكن الحجر كان الرابط والخيط السري، أدركت حينها أن ما حدث لأبي لم يكن حادثاً فردياً بل بداية

سلسلة جرائم، وأن هناك قاتلاً متسلسلاً يترك توقيعه الرمزي: حجر النرد."

ثم ابتسم ابتسامة متعبة وقال: "لم يكن الأمر سهلاً، حين بدأت أقترب من الحقيقة لاحقني رجالٌ ملثمون، ضربوني ضرباً مبرحاً وتركوني ظناً منهم أنني سأموت، وهنا وجدتني أمامكِ في المستشفى."

سادت لحظة صمت ثم قالت لينا بصوت منخفض:

-"وما نية هذا القاتل؟ لماذا يقتل ويترك حجراً؟"

أجابها: "لا أعلم بعد، لكني متأكد أنه يلعب لعبة، لعبة مميتة، والرقم (6) ليس مجرد رقم، إنه نهاية النرد، واللعنة التي تأتي بعده."

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع

"الاحتيال والوعد"

لم يكن ما وجده أياد في جيب بائعة الحليب شيئًا عابرًا، كان حجر نرد أسود، صغير الحجم، محفورًا عليه رقم (6) بأحرف رومانية حمراء، مطابق تمامًا لذلك الذي وُجد في يد والده لحظة مقتله، تجمد الدم في عروقه، تلك ليست مصادفة بل توقيع، خرج من الحي العتيق الذي سكنته العجوز، والصداع يقرع جبهته كطبول معركة لكن قلبه كان أكثر صخبًا من رأسه.

في تلك الليلة وبينما جلس في غرفته الضيقة التي استأجرها باسم مزوّر، راح يراجع ملف والده مرة أخرى، الصور، تقارير الطبيب الشرعي، أسماء الشهود، تفاصيل مسرح الجريمة، كل شيء،

أدرك فجأة أن جميع من له علاقة بالقضية ماتوا: بائعة الحليب، عامل النظافة الذي رأى سيارة تغادر يوم مقتل والده وُجد ميتًا في حريق بمنزله قبل عام، صاحب محل الساعات الذي سلّم الشريط المصور للشرطة اختفى في ظروف غامضة.

قال لنفسه: "هذا ليس تحقيقًا، هذه لعبة موت، وأنا مجرد بيدق لا يدرك أنه وُضع في منتصف رقعة الشطرنج منذ البداية."

***

في صباح اليوم التالي استيقظ على صوت طرقات خفيفة على بابه، كانت لينا بوجهها المتعب وابتسامتها الحذرة، قالت بهدوء:

-"أحضرت لك قهوة، وأجوبة أيضًا إن أردت."

أخذ الكوب منها ثم جلسا قرب النافذة، نظر في عينيها وسأل:

-"هل تثقين بي؟"

أجابت بعد صمت قصير: "لا أحد يثق بأحد هنا يا أياد، لكني رأيت الألم في عينيك، ذلك الألم لا يمكن تمثيله."

فتح دفتر ملاحظاته وبدأ يسرد عليها ما مرّ به:

-"أبي لم يكن مجرد شرطي، كان يحقق في خلية فاسدة داخل الجهاز، قُتل في ظروف غامضة وقيدت القضية ضد مجهول، حاولت إعادة فتح التحقيق لكن كل من اقترب من الملف مات، والآن وجدت حجر نرد في يد بائعة الحليب

الميتة يشبه ذلك الذي كان في يد أبي، هذا ليس مجرد حجر، إنه توقيع قاتل."

لينا شدّت على معصمه برفق:

-"هل تعني أن القاتل واحد وراء كل هذه الجرائم؟"

أومأ برأسه: "أجل، وكل من يقترب يُدفن إما بالنسيان، أو تحت التراب."

قالت بحزم مفاجئ: "إذًا لن تُكمل هذا وحدك."

-"ماذا تعنين؟"

-"سأساعدك وعد، وسأدفع الثمن معك إن لزم الأمر."

لأول مرة منذ سنوات شعر أياد بأن أحدهم يصدّقه، لا يراه مجنونًا، لا يهرب من ظله، لكن ما لم يكن يعرفه هو أن اللعبة لم تبدأ بعد.

★★★

فـي تلـك الليلـة تلقـى أيـاد اتصـالًا غريبًـا مـن رقم مجهول.

-"توقـف عـن البحـث أيهـا الشـرطي الفضـولي وإلا سـتجد نفسـك بجانـب أبيـك، لا أحـد يحـب أن يلعـب بحجـر النـرد أكثـر من مرة."

ارتجـف صـوته لكنـه تمالـك نفسـه، أغلـق الهاتف، نظر إلى لينا وقال:

-"لقد بدأوا اللعب، وأنا لن أنسحب."

لينـا نظـرت إلـى حجـر النـرد علـى الطاولـة، ثم همست:

-"فلنرَ من سيرميه أخيرًا."

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس

"الظلال الثلاثة"

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لم يكن اسم "الظلال الثلاثة" مجرد عنوان في ملف قديم بل كان سرًا مفقودًا في زوايا المدينة يتحدث عنه العارفون بالهمس ويخشاه من يحمل ذنوبًا قديمة.

دخل أياد قسم الشرطة بهوية مزوّرة، اسم جديد، ماضٍ محذوف، لكنه يحمل داخله الحقيقة كاملة كجمر تحت رماد، كان أول ما فعله هو التوجه إلى الأرشيف متظاهرًا بأنه محقّق خاص يعمل لصالح جهة تأمين دولية تبحث في جرائم قتل مرتبطة بسلسلة تهريب قديمة لم يشك أحد في أمره فقد كانت لينا قد أعدّت له كل شيء بإتقان: أوراق، بطاقات، وحتى سجلًّا إلكترونيًا تم اختراقه بدقة ليبدو رسميًا، لكن أياد لم

يكن يبحث عن عصابة تهريب، كان يبحث عن قاتل أبيه، وكانت خيوط الجريمة أبعد مما تخيّل.

حين عاد في تلك الليلة إلى الشقة الصغيرة التي استأجراها في الطابق الأخير من بناية شبه مهجورة، وجد لينا تنتظره بعيون ملؤها القلق:

-"هل اكتشفت شيئًا؟"

هزّ رأسه بثقل وقال بصوت خافت:

-"الملف مغلق رسميًا، القاتل لم يُعرف، قُيّد ضد مجهول."

ثم نظر إليها طويلًا وأضاف: "لكن أحدهم تعمّد إخفاء الأدلة، هناك صورة ممزقة في الملف، وعدة صفحات ناقصة."

جلست لينا على الكرسي المقابل، أخرجت دفترًا أسود صغيرًا وفتحته على صفحة دوّنت فيها العنوان الكبير "خطة استعادة الحقيقة" قالت:

-"إن أردنا الوصول للحقيقة علينا اللعب على طريقتهم، نربكهم، ندفعهم للظهور، ونربط الأسماء بما نعرفه."

الخطة كانت بسيطة في ظاهرها معقدة في جوهرها:

1.زرع شكوك: أياد سيبدأ بنشر شائعات صغيرة داخل القسم بأن هناك جهة دولية تفتح الملفات القديمة المرتبطة بالقتل والاختفاء، ليس مهمًا أن يصدقوا، المهم أن يخافوا، أن يخرج أحدهم عن صمته.

2.المراقبة: لينا بخبرتها في التمريض، ستعود إلى المشفى القديم حيث توفي والد أياد، وتتسلل إلى أرشيف الوفيات وملفات السموم، فهناك ربما يوجد ما لم ينتبه إليه المحقّقون يومها.

3.اختراق: لينا تعرف ممرضة مسنّة كانت تعمل ليلة الجريمة، ستزور بيتها بحجة تقديم يد المساعدة، لكن الحقيقة أنها ستستخرج منها أسماء لم تُذكر من قبل.

4.حجر النرد: وهو اسم رمزي لخطة مضادة، سيقوم أياد بخلق جريمة وهمية تُحاكي جريمة والده، نفس الطريقة، نفس المكان، نفس التوقيت، الجاني الوهمي سيرسل رسالة إلى الصحافة

تمامًا كما حدث حينها، الهدف؟ تحريك من تورّطوا في الماضي، دفعهم لارتكاب نفس الأخطاء.

في تلك الليلة كتب أياد في دفتره جملة واحدة:

-"الحقيقة لا تظهر بالأسئلة بل بالخوف."

في اليوم التالي تسلّل إلى قاعة أرشيف الأدلة، وحين لمح صورة ممزقة لوجه باهت يقف خلف شريط الشرطة في مسرح الجريمة القديم، تجمّد الدم في عروقه، كان الرجل يشبه شخصًا يعرفه تمامًا، أحد المحقّقين الذي احتضنه بعد الجريمة وعامله كابنه، لكن الصورة القديمة كانت تقول شيئًا آخر، ذلك الرجل لم يكن عابرًا بل كان هناك قبل الشرطة، وذلك يعني شيئًا واحدًا فقط: قد يكون

هو من قتل والده، لكن أياد لم يتسرّع لأن خطة الظلال الثلاثة بدأت، وقطعة الشطرنج الأولى سقطت، وما زالت اللعبة في بدايتها.

★★★

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السادس

"في متاهة الحقائق"

كانت رائحة القهوة التي حضرتها لينا تتصاعد بهدوء، تعبث برؤوس الأفكار كأنها تطلق العنان لبدء احتفال خفيّ، أياد جلس أمامها، الأوراق مبعثرة على الطاولة، صورة الضحية، رسم تقريبي للمشتبه به، وملاحظات متناثرة كتبها بخط مرتجف.

قالت لينا بصوت خافت وكأنها تخشى أن يسمعها جدار الشقة:

-"أتعلم يا أياد، لا أصدق أن الأمر صدفة، أن تجدك طريحًا قرب المستشفى الذي تعمل فيه الضحية، وأن يتزامن كل هذا مع إعادة فتح ملفه بعد خمس سنوات من إغلاقه."

أياد شرد لحظة ثم قال:

-"لا شيء صدفة، حتى سقوطي لم يكن عشوائيًا، أظن أنني كنت المستهدف التالي."

***

بدأت خطة الظلّ، كان اسمه "الظلّ"، هكذا اختاره أياد لما قرر أن يلعب لعبة التحقيق من خلف ستار، بعد أن زورت له لينا هوية باسم "مالك طاهر" بدأ بالتردد إلى الأماكن القديمة التي دارت فيها الأحداث: المقهى الذي كان يرتاده الضحية، المكتبة المهجورة التي ترك فيها دفترًا قديمًا بخط اليد، الشقة القديمة التي كانت تعود لامرأة اختفت بعد الجريمة ولا أحد يعرف إن كانت شاهدة أم متورطة.

***

في كل مساء كان أياد يعود إلى لينا، يفتح دفتره الأسود ويبدأ يخط تفاصيل

يومه: الرجل ذو المعطف الجلدي الذي كان يتبعه من بعيد، المرأة العجوز التي رمقته بنظرة خوف حين نطق باسم الضحية، الصبي الأخرس في الشارع الخلفي الذي رسم له عينًا دامعة وسكينًا.

قالت لينا وهي تمسك الورقة:

-"هذه ليست رسمة بريئة، الطفل شاهد شيئًا أو يعرف شيئًا."

ردّ أياد بجمود: "كل شيء في هذه المدينة مصاب بالصمت، الصمت هو الجريمة الكبرى."

★★★

في الليلة التالية قررا تنفيذ الخطة الثانية: التسلل إلى أرشيف مركز الشرطة.

لينا باعتبارها ممرضة سابقة تعاملت مع بعض الملفات الطبية تعرف رمز الدخول إلى قسم السجلات المشتركة مع الأمن.

في الظلام وحين كانت الساعة تشير إلى الثانية صباحًا، دخلا الأرشيف، ارتجف قلب أياد حين وجد الملف الذي يحمل اسم الضحية وقد كُتبت عليه عبارة بخط أحمر "أُغلق لأسباب أمنية" لكنه فتح الملف ووجد الصفحة الأولى ناقصة.

قالت لينا وهي تشعل ضوء الهاتف:

-"هناك شيء تم محوه، ليس فقط تمزيق الصفحة بل إزالة دليل كامل."

وفجأة رنّ هاتف مجهول في جيب أياد، لم يكن معه هاتف، أخرجه، لا شبكة، لا رقم، رسالة واحدة فقط:

-"الظل الأول ليس وحده، من يبحث عن النور سيُحرق - ل"

نظر إلى لينا وقد شحب وجهها:

-"هل ل، هي أنتِ؟"

هزّت رأسها بنفي لكنها لم ترفع عينيها عنه، قالت بصوت أقرب إلى الهمس:

-"أياد، هناك شيء لم أخبرك به، قبل ثلاث سنوات كنت أنا من حضرت تشريح الجثة، وأنا من رأى أن الدم لا يتطابق مع نتيجة الوفاة الرسمية."

تجمّدت الدماء في عروقه، كل شيء كان يُكتب مجددًا.

قال أياد: "سنواصل حتى النهاية لكننا لن نثق بأحد، حتى بكِ لينا."

ابتسمت بتعب: "ولا بنفسك أياد."

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السابع

"عودة الوميض"

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كان المطر ينهمر برفق على زجاج النافذة، بينما جلس أياد في ركن المكتب القديم داخل شقة لينا، عيناه تتفحصان كل صفحة من ملفات التحقيق التي جُمعت على مدى أسابيع، كل تفصيلة صغيرة أصبح لها الآن وزن مختلف، كانت لينا واقفة خلفه تمسك فنجان قهوة بيدها المرتعشة، تنظر إلى ظهره بصمت كما لو أنها تخشى ما سيقوله أو ما سيكتشفه.

-"انظري هنا"...قال أياد بنبرة محمومة مشيرًا إلى صورة قديمة وجدها ضمن متعلقات والده: "هذا الرجل تذكرينه؟"

تقدمت لينا بخطى مترددة، حدّقت في الصورة ثم شهقت:

-"إنه السيد نوفل، الطبيب الذي أشرف على حالة والدك بعد الحادث."

أياد أومأ برأسه: "نوفل ليس طبيبًا فقط، هو أيضًا من كبار المستثمرين في المستشفى الذي اختفى فيه الملف الأصلي لتشريح الجثة."

بدأت الذكريات تتقاطر كقطع بازل في ذهن أياد، كل تفصيل كان يظنه تافهًا أصبح الآن مفتاحًا لحقيقة أعمق.

***

في اليوم التالي تنكّر أياد في زي عامل صيانة ودخل المستشفى ذاته الذي عولج فيه والده قبل وفاته، كانت الخطة التي رسمها مع لينا دقيقة: تسلل إلى أرشيف المستشفى القديم، بينما تلهي لينا موظفي الإدارة بورقة شكاية مزيفة.

وفي ظلال القبو العفن، وجد الصندوق البني الغامض، داخله لم يكن هناك فقط تقرير التشريح الأصلي بل أيضًا تسجيل صوتي لرجل يعترف بجرائم لا يمكن تصورها.

صوت نوفل: "كان يجب أن يختفي، هو مَن كان سيفضح الجميع، الصفقة كانت واضحة، والده رفض التعاون، فكان الثمن حياته."

وقف أياد مذهولًا يشعر وكأن دمه تحول إلى صقيع، عندما واجه نوفل لاحقًا، لم يُنكر شيئًا، كان جالسًا في مكتبه هادئًا على غير المتوقع كأنه توقّع أن يأتي هذا اليوم.

-"العدالة يا بني مفهوم هش، والدك اختار طريق الحقيقة، وأنا اخترت طريق السلطة، والآن أنت أمام الخيار ذاته."

لكنه لم يكن وحده، فجأة دخلت شخصية لم تكن بالحسبان: ياسين الشرطي السابق الذي ساعد أياد في بدايات التحقيق لكنه الآن ظهر بهوية مغايرة.

-"أنا من أعطيت نوفل المعلومات مقابل حماية ابنتي" ...قالها بصوت منطفئ.

أياد انهار على الكرسي. لم يعد يعرف من يثق به، حتى الظلال التي رافقته في رحلته تبين أنها كانت تحمي نفسها فقط لا الحقيقة، لكن لينا تلك الوحيدة التي لم تخنه قط، وضعت يدها على كتفه وهمست:

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

-"لا تـنسَ، لـم نبـدأ هـذا لننـتقم بـل لنكشـف الحقيقـة، لا تنكسـر الآن فأنـت علـى بعـد خطوة منها."

رفـع رأسـه ونظـر فـي عينيهـا، كـان هنـاك وميض جديد فيهما، وميض عودة.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل قبل الأخير

"المرآة المكسورة"

كان أياد يجلس في عتمة الغرفة، والنور القادم من المصباح المتدلّي يرقص كأنّه على حافة الاعتراف، الصور، التقارير، الخرائط، القصاصات، كلها معلّقة على الجدران، كل خيط جمعه، كل همسة سمعها، كل ظل راقبه، الآن فقط بدأت الصورة تتضح، فتح التسجيل الأخير الذي التقطته لينا من الكاميرا المخفية التي زرعتها في مكتب الدكتور "رائف" الطبيب النفسي للمشتبه به الرئيسي، الصوت لم يكن واضحًا تمامًا، لكنه سمع بوضوح اسم والده، واسمه هو.

-"لقد فعلتها مجددًا، أليس كذلك؟ كما فعلتها مع نزار والد أياد."

-"هو من أجبرني، كان يعرف كثيرًا."

-"وهل تعرف أن ابنه يحقق الآن؟"

-"سأراقبه، وإن لزم الأمر سأكسر المرآة كما فعلت سابقًا."

أياد شعر وكأن جدارًا انهار في صدره، إذًا لم يكن حادث والده مجرد حادث بل كان قتلاً متقنًا، خفيًا، مموهًا كسكتة قلبية، لكن من كان المتحدث؟

الصوت الثاني، المنخفض، كان مألوفًا، التقطه قلبه قبل أذنه، وقف فجأة وسحب ملفًا قديمًا لطبيب شرعي متقاعد، دُفن تقريره بين الأوراق.

-"نزار لم يمت بسكتة قلبية، كان هناك أثر لمادة مخدّرة نادرة تُحقن في الرقبة وتُحدث شللًا في عضلة القلب، لكنها لا تُكتشف إلا إذا فتحت القلب نفسه."

وهنا فقط بدأت الظلال تتكلم.

***

في ظهيرة اليوم التالي دخل أياد ولينا المستشفى الذي يعمل فيه د.رائف، كانت الخطة خطرة وربما مميتة لكنها الوحيدة الممكنة.

أقنع أياد الإدارة بأنه يحقق في قضية فساد تتعلق بأدوية مختفية، واستغل هذه الذريعة للتفتيش في أرشيف العيادات النفسية، أما لينا فكانت تمثل دور المريضة التي تحتاج إلى جلسة طارئة عند د.رائف.

في الجلسة كانت لينا قد وضعت في قرطها الصغير جهاز تسجيل، وكان أياد يستمع من غرفة المراقبة لكنها لم تكن وحدها، دخل رجل غريب الغرفة الخلفية

التي كان بها أياد، ملامحه عادية حد التلاشي لكن في عينيه شيء موحش، شيء يشبه الليل حين لا يرحم.

-"أنت تقترب من الحقيقة يا أياد أكثر مما يجب."

رفع الرجل مسدسًا كاتمًا للصوت، لكن أياد كان قد توقع هذا وسحب قارورة صغيرة من جيبه، ألقاها أرضًا، فخرج منها دخان خفيف.

في لحظة اشتعلت الفوضى، أصوات تتداخل، لينا تصرخ، الرجل يهرب، و د.رائف يضرب لينا بظهر المقعد، لكن أياد انقضّ كذئب جريح، أخرج مسدسه وأجبر الجميع على الأرض.

-"أنت قتلت أبي، أليس كذلك يا د.رائف؟"

-"أنت لا تعرف شيئًا يا أياد، الظل الحقيقي لم يُكشف بعد."

لكن هنا ظهرت هي، امرأة خمسينية، أنيقة ببرود، دخلت الغرفة ببطء وكأنها تمشي فوق رماد الحريق القديم.

-"كفى يا رائف، لم يعد الأمر سرًا الآن."

لينا شهقت، أياد تجمّد؛ كانت المرأة هي مديرة المستشفى نفسها والدة صديقه القديم الذي مات في حادث غامض أثناء دراستهم الجامعية.

قالت ببرود: "أنت كنت جزءًا من هذا منذ البداية، أياد، أبيك حاول فضحنا، ونحن قمنا بما يلزم."

***

نهاية هذا الفصل ليست إلا مرآة مكسورة كل قطعة فيها تعكس ظلالًا لم

تُكتشف بعد، لكن أياد الآن يعرف الاسم، ويعرف مَن عليه أن يواجه في الفصل الأخير.

★★★

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأخير

"نقطة الضوء"

الهواء بارد في تلك الليلة كأن المدينة نفسها تحبس أنفاسها، يقف أياد في الظل سلاحه بين يديه وعيناه لا ترمش، أمامه يقف القاتل ممدودًا في النور كمن يسلّم نفسه للقدر، لم يكن شخصًا غريبًا، كان رائد الرجل الذي وثق به والذي أضاء له بعض الطريق ليفهم، لكن أياد لم يعد يبحث عن إجابات بل عن نهاية، رفع السلاح، صوّبه نحو صدره، الصوت في رأسه يقول:

-"كل شيء سينتهي الآن، كل شيء سيستقيم."

لكن قبل أن يضغط على الزناد ركضت لينا نحوه لا نعلم من أين جاءت ولا كيف عرفت المكان، لكن وجهها كان ممتلئًا بالدموع وعيناها فيهما ما يفوق الرعب.

-"لا، أياد، لا تفعلها."

صوته كان أشبه بصرخة مكتومة:

-"لقد قتل أمي، لينا، قتلها كما لو كانت شيئًا تافهًا."

أجابت وهي تمسك يده المرتجفة:

-"وأنت؟ هل ستقتل ما تبقى منك بيدك؟ لقد أصبحت أكثر من ماضٍ يطارد قاتله، أنت أصبحت إنسانًا يرى الحقيقة لا ظلها."

-"لا أفهم."

-"أنا رأيتك، رأيتك كيف كنت تداوي من حولك حتى وأنت تنزف، القاتل سيسجن وسينال عقابه، لكن أنت، يجب أن تنجو، لأجلك، لأجل أمك التي حلمت أن تكون فخورًا بك لا قاتلًا."

بقي صامتًا، قلبه كأنما انفجر داخله، لم يستطع أن ينظر في عيني رائد ولا في عيني لينا، سقط السلاح من يده أخيرًا وبكى، بكى كطفل لم يعد يخجل من جرحه.

***

مرّت شهور لم يكن من السهل محو كل شيء، بعض الأوجاع تبقى محفورة في القلب، لكن أياد تغيّر، تغيّر حين قرر أن يواصل لا لينتقم بل ليمنع الآخرين من السقوط كما سقط، عمل إلى جانب لينا في وحدة التحقيقات الجنائية كأنهما وُجدا من أجل كشف الظلال التي لا نراها، لم يكن لقاؤهما عبثًا بل بداية جديدة لاثنين عرفا الألم وعرفا الشفاء.

وفي يوم عادي جلست لينا على المكتب تحاول فتح أحد الملفات وجرحت يدها بورقة حادة، اقترب منها أياد بهدوء الطبيب الذي مات فيه منذ زمن وولد فيه شيء آخر.

-"أرِني يدك."

-"أوه، إنها مجرد خدش بسيط."

-"أحيانًا الخدوش الصغيرة تذكّرنا أننا ما زلنا أحياء."

لفّ يدها بضمادة صغيرة، ونظر إليها طويلاً، قالت له وهي تبتسم:

-"هل ما زلت ترى الظلال؟"

ردّ وهو يربط العقدة الأخيرة للضمادة:

-"لا، صرت أرى ما خلفها، الضوء."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ثـم جلـس إلـى جانبهـا، لـم يكـن يحتـاج للهرب بعد الآن، ولا للانتقام.

★★★

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الملحق

"محاكمة الظل"

المتهم: كريم الناجي

التهمة: قتل الضابط ياسين شهاب عمدًا مع سبق الإصرار.

رئيس المحكمة: هل تعترف بجريمتك؟

المتهم (صامت)

رئيس المحكمة: لدينا التسجيل، البصمات، شهادة الابن الناجي، والدافع القديم المتعلق بالإرث والنفوذ.

المتهم: لقد كنت أكره ياسين، كان يُحب الناس أكثر مما يحب العائلة، وكنت خائفًا من أن يكشفني، من أن يعرّي وجهي الحقيقي.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

شهادة أياد: لم أكن أتمنى أن ينتهي به المطاف في قفص، كنت أتمنى فقط أن أعرف الحقيقة، واليوم بعد كل ما عشته لا أبحث عن انتقام بل عن عدالة تمنع الظلال أن تتكاثر في بيوت الأبرياء.

الحكم: الإدانة بالسجن المؤبد مع الحرمان من أي امتيازات قانونية.

وفي الخارج خرج أياد ولينا من المحكمة، والريح تداعب معاطفهما.

قالت: "انتهى الظل."

قال: "لكن الحقيقة تشرق من جديد."

فقد اختار الحياة.

★★★

ظلال ثلاثه

ليست كل الخلفيات صامتة
بعضها يصرخ بالحقيقة
بصوت خفي ينتظر
من يملك الجرأة ليراه

كريم عربي شاهيناز

تصميم الغلاف: سلمى سامى